Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٣ـ في ضوء ما سبق نستطيع أن نقول إن الطريق الذى يمكن أن يوصلنا إلى الحقيقة فى فهم المطلع والمقدمة وتفسيرهما هو أن نحاول الربط بين نفسية الشاعر حين أنشأ القصيدة وبين المطلع بالذات ، وذلك بمحاولة تقصى الظروف والملابسات التى أحاطت بالشاعر عند إنشاء القصيدة ، فإن المتأمل فى مطالع القصائد القديمة يلحظ بوضوح أن الشاعر يودع نفسيته فيها مهما كان موضوع القصيدة ، ولكن نوعية المطلع أحياناً تخدع النظرة العابرة إليه ، فقد يكون المطلع غزلاً فى ظاهره ، وهو بهذا الظاهر يخدع غير المتأمل فيظن أن الشاعر يقصد الغزل حقيقة أو تخيلاً ، مع أننا نلحظ أن الشاعر حينئذ إنما يجعل من هذا الغزل رمزاً إلى نفسيته ومشاعره نحو موضوع القصيدة أو الموقف الذى قال فيه هذه القصيدة ، وقد رأينا كيف أن النابغة الذبيانى جعل مطلعه المشهور غزلاً فى الظاهر ، ولكنه فى الحقيقة ليس غزلاً ، وإنما هو تعبير عما يملأ نفسه حينئذ من هموم وأحزان ، فجعل الغزل ستاراً لهذه الهموم ، ولكنه ستار شفاف لا يخفى ما وراءه ، وذلك لأننا استطعنا أن نعرف أن الشاعر قال هذه القصيدة وهو يعانى حقيقة من هموم وأحزان ثقيلة على نفسه ، وأشد منه وضوحاً مطلع المتنبى المشهور :

كفى بك داء أن ترى الموت شافياً وحسب المنايا أن يكن أمانياً

فإذا رجعنا إلى الظروف والملابسات النفسية التى أحاطت بالشاعر حينئذ نعلم أن هذا المطلع ليس تقليديا فى شكوى الزمان كما تنظر إلى مثله الدراسات التى تحاول تفسير مقدمة القصيدة القديمة حين تجعل مثله من المطالع مجرد لون تقليدى شائع فى المطالع القديمة يعبر عن حيرة أو قلق أو شكوى من الحياة والزمان ، وإنما هو تعبير عن نفسية الشاعر بصفة خاصة حينئذ ، وذلك لأننا نعرف من ظروف وملابسات هذا المطلع أن الشاعر كان حينئذ شديد الضيق والتبرم بالحياة التى أنزلته من علياء مجده عند سيف الدولة ، وتقلبت به حتى اضطرته مع ما يحمل من عزة مبالغ فيها إلى أن يفيض فى مدح شخص هو كافور الذى لا يحمل له إلا كل ازدراء ، وليس الهدف هنا دراسة مطالع ، وإنما هو مجرد تمثيل نتبين منه أن مفتاح فهمنا لأى مطلع لذاته هو معرفتنا للظروف المحيطة بالشاعر عند إنشاء هذا المطلع ، فإن هذه الظروف من شأنها أن تشير لنا إلى نفسية الشاعر حنيئذ ، وبالتالى سنجد معانى المطلع وإشاراته مطابقة لنفسية الشاعر .